

## رجال الحق

للحقّ رجاله، وللباطل أَعوانه. وصراعُ الحقِّ والباطل ممتد مع الزمن. مرتبط بدار الابتلاء والاختبار ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>

والباطلُ بجنده ساهرٌ يَرُقُبُ غفلةَ المؤمنين. والغلبة للحق والعاقبة له مهما تطاول الباطل وعربد. وهل يقودُ الباطلُ أهله إلا إلى الخزي والخسران؟! ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

ألا وإن في صراع الحق والباطل ابتلاء للناس وتمحيص ﴿لِيَعْرِفَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾<sup>(٣)</sup>

﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

ما أيسر أن يدعى الناسُ الصدق فيما يقولون ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾<sup>(٥)</sup> ما أيسر أن يُظهروا خضوعهم للشارات وللشعارات؛ ابتغاء

(١) محمد : ٤ .

(٢) المجادلة : من الآية ١٩ .

(٣) الأنفال : من الآية ٣٧ .

(٤) العنكبوت : ١-٣ .

(٥) الفتح : من الآية ١١ .

مترلة ومنفعة. فإذا تبدلت الأحوال، وبدت عواصف الشدائد، تميزت مواقف الناس، وعُرِفَتْ خصائصهم، وأخطرُ ما في حياة الأمم نوع من الناس مذذب، لا يستقر على مبدأ، ولا يثبت مع اعتقاد، دوافعه دائماً ترتبط بمنفعه. يميل مع الريح حيث مالت.

هؤلاء هم المنافقون الذين نَبّه القرآن عنهم، ووضّح صفاتهم، وبيّن سماتهم، وكشف أساليبهم، وسجّل خصائصهم؛ ليعرف الناس أمرهم في كل زمان ومكان.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٦٦﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ ﴿٦٧﴾ (١)

قال الراغب: (( النفاق هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب ))، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ (٢) أي: الخارجون من الشرع.

وجعل الله المنافقين شرّاً من الكافرين ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ ﴿٦٨﴾ (٣)

ولكن كيف يُعَامَلُ هذا الصنف من الناس؟ وكيف ينحسر شرّه؟  
ذاك ما سنعرفه من أخلاق رسول الله ﷺ، وقد كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ.  
بعد أن انتهى القتال في غزوة بني المصطلق احتصم جهجاه بن مسعود - أجيرو  
عمر بن الخطاب الذي كان يقود له فرسه - مع سنان ابن وبرة حليف الخزرج.

(١) النساء : ١٤٢-١٤٣.

(٢) التوبة : من الآية ٦٧

(٣) النساء : ١٤٥.

فضرب جَهجَاهُ سنان، فسَالَ دَمُهُ.

فنادى سنان: يا للخزرج، يا معشر الأنصار. ونادى جَهجَاهُ: يا معشر المهاجرين، يا لكنانه، يا لقريش. فأقبل جمع من الجيشين، وشهروا السلاح حتى كاد أن تكون فتنة عظيمة، فخرج النبي ﷺ فقال: « ما بالُ دَعْوَى الجاهلية ؟ » فأخبروه. فقال: « دعوها فإنها منتنة » فكلم جماعة سنان، فترك حقه. وسكنت الفتنة.

صلى الله عليك يا نبي الله. لقد بلغت رسالة ربك، ونصحت لأمتك. فاجتمعت كلمتها على الحق، وعز جانبها. وأذهب الله عنها نخوة الجاهلية وتفاخرها للآباء بعد أن أعزها الإسلام وشرفها به. لو أن هذا الجمع من الأنصار والمهاجرين استجابوا لنداء القوم ونزعة القبيلة والدم. كانت النتيجة دماراً وخراباً. ولكن ما إن خرج الرسول ﷺ ليقول: « دعوها فإنها منتنة، إنها دعوى الجاهلية » حتى سكنت الفتنة وهدأت النفوس، وسيطر عليها نداء الإيمان، فكانت الألفة وكانت العصمة من عبث الشيطان.

ولكن هل يترك رأس النفاق " عبدُ الله بنُ أبي " هذه الفرصة تمر دون أن يُثير الفتنة ويوغر الصدور ؟

ما إن بلغه ما وقع لسنان حتى غضب غضبة الجاهلية والنفاق وقال: والله ما رأيتُ كالיום مَدْلَةٌ. أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا في ديارنا. وكاثرونا في بلادنا، أما والله لن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل.

ثم أقبل على من حضر من قومه. فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاستموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم، لتحولوا إلى غير داركم، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا، فقتلتم دونهم. فأيتتم أولادكم، وقللتم وكثروا، فلا تُنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عند محمد.

كان عبد الله بن أبي في رهط من قومه من المنافقين الخزرجيين عندما قال مقالته. وكان عنده من المؤمنين زيد بن أرقم وهو من الخزرج، فلما سمع زيد قول ابن أبي: (( لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر منها الأذل )) قال: (( أنت والله الدليل المنتقص في قومك، ومحمد ﷺ في عز من الرحمن، وقوة من المسلمين )) فحجبن له ابن أبي. وقال لزيد: اسكت، فإنما كنت ألعب.

وانصرف زيد من مجلس ابن أبي، وذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فكره رسول الله ﷺ ذلك، وتغير وجهه، وقال لزيد: يا غلام لعلك غضبت عليه. فقال: والله يا رسول الله لقد سمعته منه. فقال: لعله أخطأ سمعك.

يقول زيد: فكذبتني رسول الله ﷺ، وأصابني هم لم يصبني مثله قط، وجلست في الخباء، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبتك رسول الله ﷺ ومقتك. فقال زيد: والله لقد سمعت ما قال، ولو سمعت هذه المقالة من أبي لتقتلها إلى رسول الله ﷺ وإني لأرجو أن ينزل الله على نبي ما يصدق حديثي.

وكان عمر ﷺ عند رسول الله ﷺ عندما أخبر الرسول بما قاله ابن أبي فقال: يا رسول الله. ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي، أو أمر محمد بن مسلمة بقتله، أو أمر عبادة بن بشر بقتله. فقال له الرسول الأعظم ﷺ كلمته الخالدة: « كيف يا عمر إذا تحدثت الناس بأن محمدًا يقتل أصحابه »، ثم قال لعمر: « ترعد له إذن أنف كثيرة يثرب. ولكن أذن بالرحيل »

فأذن عمر بالرحيل؛ استجابة لأمر رسول الله ﷺ في ساعة شديدة الحر؛ لأن خير مقالة ابن أبي قد شاع في الناس، وصارت حديث الجيش فأراد الرسول ﷺ - بحكمته - أن يصرف الناس، وأن يشغلهم عن هذا الحديث. فلما ارتحل النبي ﷺ وأمر الناس بالارتحال. جاءه أسيد بن حضير: فقال: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله

وبركاته، يا نبيَّ الله، لقد رحلتَ في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها. فقال له الرسول الأعظم ﷺ: «أما بلغك ما قال صاحبكم؟» فقال: أيُّ صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي» قال: أسيّد: وما قال؟ قال: «زعم أنّه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل»

فقال: أسيّد: فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل، وأنت العزيز، يا رسول الله، أرفق به، قد جاءنا الله بك وإن قومك لينظّمون له الخرز ليتوجّوه، وإنه ليرى أنك قد استلبته الملك.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم هذا حتى أمسى. وليلتهم حتى أصبح، وصدّر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض حتى وقعوا نياماً. وإنما فعل ذلك رسولُ الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبي.

### أخي المسلم:

إن أهل النفاق يسلكون كل سبيل يحقق أغراضهم ويتوهمون فيه مصالحهم. وقد رأينا جانباً من مواقف رسول الله ﷺ وحكمته في علاج شرورهم وردع كيدهم. وهو علاج حكيم يضع الأمر في موضعه، ولا يترك سبيلاً للفتن التي يتمنوها ويسعون إليها.

إن تماسك المؤمنين، واعتصامهم بكتاب ربهم، وحسن وعيهم وإدراكهم هو السبيل لكشف المنافقين وخرابهم أمام أنفسهم، وإسقاط سعيهم وإبطال كيدهم. إن المجتمع الواعي الصدوق لا تسري بينه إلا كلمة الصدق. ولا يرتفع على أرضه إلا لواء الحق، وهو ضنين أن يدع للأفاكين باباً يدخلون فيه، وللمنافقين سبيلاً يخادعون فيه.

بمذا الوعي الصادق يُردع النفاق فلا يقف موقفاً يرتفع فيه بريائه ويتطاول  
بكذبه.

وأمتنا - بحمد الله - بيدها ميزان الحق الذي لا يزيغ من اتبعه، ولا يضل  
من اهتدى به « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ،  
وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ »<sup>(١)</sup>



(١) رواد مالك في الموطأ.